الفصل الأول

ظهور المغازى

فى الأدب العربى ميادين ثلاثة ، ينبغى أن تعدَّ مصادر لأقوال النبى وأفعاله ، وهى كتب الحديث ، والسيرة ، والتفسير. والعنصر الرئيسىّ فى كل واحد من هذه الميادين ، هو الرواية المسندة ، التى تَرِد فى كل منها بصورة واحدة ، صورة متن الحديث يتقدمه الإسناد . ولكن الكتب المنتمية للميادين الثلاثة يختلف بعضها عن بعض ، فى نظام عرض المجموعة الكبيرة من الروايات المسندة التى تضمها : فمجموعات الحديث ترتبها على حسب الموضوعات ، (كما فى المصنفات التى منها الكتب الستة) ؛ أو على حسب أسماء الصحابة الذين تُرفع لهم الأحاديث ، (كما فى كتب المسانيد ، كمسند أحمد بن حنبل) أما كتب السيرة فتورد الروايات مرتبة على السنين ، بحسب وقوع الحوادث التى تشير إليها الأحاديث ؛ وأما كتب التفسير بالمأثور ، فتوردها شرحا للآيات القرآنية التى تتصل بموضوعها .

ومن الطبيعى ألا تحوى الكتب الممثلة لكل من الميادين الثلاثة مادة متحدة فى كل منها : وإنما تختلف كثيرا فى اختياراتها من تلك المادة الواسعة ؛ باختلاف أشخاص مؤلفيها وميولهم الخاصة من ناحية ، ومقياس النقد الذى يصطنعونه للتحقق من صحة الروايات من ناحية أخرى . ومهما يكن بينها من فرق أو خلاف فإن الكتب التى تعد أكمل المجموعات فى مادة الحديث ، فى أى ميدان من الميادين الثلاثة ، مثل « كتاب

المغازى » للواقدى من جهة ، و « مسند » أحمد بن حنبل من جهة أخرى ، يشتمل معظمها على أحاديث مشتركة بينهما ، فقلما نجد حديثا عند الواقدىّ ولا نجده فى مسند أحمد بن حنبل . وهناك محاولة جديرة بالذكر لجعل جميع المادة المجموعة فى كتب الحديث والسيرة فى متناول الأيدى بصورة موجزة فى الكتاب الرائع المسمى Handbook of Early Muhammadan Tradition « موجز فى الأحاديث النبوية الأولى » الذى ظهر أخيرا بفضل الأستاذ فنسنك Prof. Wensinck الذى خدمنا خدمة عظيمة بنشره فى ليدن . وإذا أمكن فى المستقبل جمع كل الأحاديث المذكورة فى تفسير الطبَرىّ ، فإنه يصبح من السهل بحث المسائل المهمة فى جميع الميادين الثلاثة ، على أساس ما أخذته من مادة الحديث .

وقد شرع الناس فى الجيل التالى للصحابة : جيل التابعين ، يجمعون روايات أقوال النبى وأفعاله التى كانت شائعة فى عصرهم ؛ وإذا كانت مادة أحاديث عدد من الصحابة المدونة فى الصحائف والكتب مشكوكا فى صحتها وقيمتها[1] ، فإنه لا يوجد شك فى أن مثل هذه الكتب كانت نادرة فى جيل التابعين ، الذين أخذوا معارفهم عن الصحابة . ووجد بين التابعين أناس يعتبرون علماء بالمغازى ، وهى الحروب ، وينبغى أن نقصر معنى هذا اللفظ على المعنى الخاص بأعمال النبى والصحابة الحربية ، وإن كان يُطلق فى الغالب على سيرة النبى جميعها . وسنتكلم فيما يلى عن هؤلاء العلماء

(١) جمع جولد تسيهر Goldziher قدرا من هذه الأحاديث ، انظر : دراسات إسلامية ، المجلد الثانى ، الصفحة ٩ ، ومجلة جماعة المستشرقين الألمان ، المجلد ٧١ ، الصفحة ٤٣٨ .

بالمغازى خاصة من التابعين ، وعن مدوّناتهم . ولكننا لن نقف عند هذا الجانب وحده من نشاطهم ، بل نجمع كذلك كل الأخبار الهامة التى نقف عليها مضافة إليهم . وسنتناول فى فصل آخر أو اثنين العلماء بالمغازى فى الجيل التالى ، جيل تابعى التابعين . وأخيرا نتناول أقدم السِّيَر الشاملة لحياة النبى ، أعنى سير ابن إسحاق ومعاصريه ، وكذلك الواقدى وابن سَعْد .

أبان بن عثمان

وينبغى أن نبدأ بذكر أبان بن الخليفة عثمان وأمِّ عمرو بنتِ جُندب[١] ، فهو أول من اشتهر بمعرفة المغازى معرفة دقيقة ، وهو ممن ولد قبل سنة ٢٠ للهجرة لا بعدها ، لأنه كان فى عام ٣٦ هـ قد بلغ من العمر ما مكّنه من الاشتراك فى خروج[٢] عائشة وطلحة والزبير للطلب بثأر عثمان (توفى سنة ٣٥ هـ) : وفى أثناء الحملة أُرسل لعائشة يسألها عن رأيها فى مصير بعض الأسرى[٣] . ويظهر أنه لم يسند إليه أى عمل فى الأربعين سنة التالية ، إلى أن عينه الخليفة عبد الملك واليا على المدينة عام ٧٥ هـ[٤] . على أن تولية أبان على المدينة لم تكن من الخليفة فى بادئ الأمر ، وإنما سببها أن سلفه عليها كان فيه حمق ، فخرج إلى دمشق وافدا على الخليفة عبد الملك بغير إذن منه قبل خروجه ، واستخلف أبانا على المدينة ، فغضب عبد الملك عليه ، وصرفه وأقر أبانا[٥] . واستمر أبان فى ولايته على المدينة سبع سنوات ، حتى عام ٨٣ هـ ، فعزله عبد الملك[٦] ؛ وفى أثناء ولايته عليها كان الخليفة يعهد إليه كل

---

(١) الطبرى ١ : ٣٠٥٦ . (٢) نفس المرجع ١ : ٣١٠٤ .
(٣) نفس المرجع ١ : ٣١٢٦ . (٤) نفس المرجع ٢ : ٨٧٣ .
(٥) ابن سعد ٥ : ١١٢ . (٦) الطبرى ٢ : ١١٢٧ .

عام بإمارة الحج[١] . ولما لم يأت إليه أمر الخليفة فى عام ٨١ هـ بسبب مشاغل الحرب ، تطلع والى مكة للتشرف بإمارة الحج ، فتمسك أبان بأولويته بالإمارة ، لنسبه وقرابته[٢] .

وقد توفى فى ولايته بعض كبراء المدينة ، من أمثال جابر بن عبد الله الصحابى ، ومحمد ابن الحنفية ، وعبد الله بن جعفر وهو ابن أخى علىّ ، فكان أبان هو الذى يصلى عليهم[٣] . ولا نعرف عنه بعد ذلك من الأخبار الرسمية إلا أنه عيّن قاضيا جديدا[٤] ، وعاقب مزيّفى العملة[٥] ، وزاد فى صاع أهل المدينة[٦] . وقد شلّ قبل وفاته بعام .

وتختلف الأقوال فى تاريخ وفاته فيرى البخارى فى «التاريخ» أنه توفى فى عهد الوليد (٨٦ ـ ٩٦ هـ) ، ويرى ابن سعد أن وفاته فى عهد يزيد الثانى (١٠١ ـ ١٠٥ هـ) ، بل يذهب بعضهم أنها فى نهاية عهد يزيد الثانى (١٠٥ هـ) .

ويُذكر أبان بين فقهاء المدينة[٧] ، فيروى أنه كان يحفظ فتاوى أبيه[٨] ، وتنفى روايات أخرى سماعه الأحاديث عن أبيه[٩] .

ولأبان شهرة حسنة بين المحدّثين ، فيذكرون أن أبا الزّناد والزّهرىّ أخذا عنه الحديث ، وكذلك ابنه عبد الرحمن . ومع أنه يتردد اسمه كثيرا فى أسانيد الأحاديث ، فإنه لا يوجد فى كتب السيرة ؛ فلا نجد ذكره أبدا

---

(١) الطبرى ٢ : ٩٤٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٦ ، ١٠٨٥ .
(٢) الأغانى ٣ : ١٠٧ . (٣) الطبرى ٣ : ٢٢٣٩ ؛ ابن سعد ٥ : ١١٣ .
(٤) ابن سعد ٥ : ١١٣ . (٥) البلاذرى : الفتوح ٤٧٠ .
(٦) الواقدى ، ترجمة وهوزن Wellhausen ٢٨٨ .
(٧) النووى ١٢٥ ؛ ابن حجر : تهذيب ١ : ٩٧ .
(٨) ابن حجر : نفس المرجع . (٩) نفس المرجع .

عند ابن إسحاق أو الواقدى أو ابن سعد[١] (فى الجزء المخصص لسيرة النبى من كتابه) . نعم إن ابن سعد[٢] يسند خبرا عن أسْر العباس و بعض الهاشميين الآخرين فى بدر إلى أبان بن عثمان ، ولـكن الإسناد (أبان عن معاوية بن عمار ، عن جعفر بن محمد المتوفى عام ١٤٨ هـ) يبين أنه ليس المراد أبان ابن الخليفة ، و إنما المقصود المؤلف الشيعى ، أبان بن عثمان البَجَلِىّ[٣] . وقد ألف أبانّ هذا كتابا عالج فيه « المَبْدَأَ وَالمَبْعَثَ والمغازى » ولعله هو الذى وصفه ياقوت فى «مُعْجَمِ البُلدان » «بصاحب المغازى» . ولـكن أبانا الذى نعنيه وهو ابن الخليفة ، عُنِىَ كذلك بالمغازى عناية خاصة .

وذكر ابن سعد[٤] المُغيرةَ بن عبد الرحمن فقال : « كان ثقة قليل الحديث إلا مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيرا ما نُقرأ عليه ، و يأمرنا بتعليمها[٥] » . وكان المغيرة هذا فى جيش مَسْلَمَةَ الذى توجه عام ٩٦ هـ[٦] إلى آسيا الصغرى ووصلته أوامر عمرَ الثانى [ابن عبد العزيز] بالرجوع فى عام ٩٩ هـ[٧] ؛ ولا يمكن أن يأخذ المُغيرة المغازىَ إلا من أبان بن عثمان الخليفة ، لا من أبان بن عثمان البَجَلى ، الذى

---

(١) يذكر ابن سعد أبانا خارج السيرة عند ذكره الـكلمات الأخيرة من عمر ، التى سمعها (أبان) من والده ؛ ويذكره ابن قتيبة (كتاب الشعر والشعراء) على أنه راوى الخبر القائل بأن البردة التى أعطاها النبى كعب بن زهير اشـتراها معاوية ، وكان يلبسها الحـكام فى المواسم .

(٢) ٤ : ٢٩ ؛ انظر أيضا الطبرى ١ : ١٣٤١ .

(٣) فيك : Fuck (محمد بن إسحاق) ٨ : الملاحظة ٢٧ .

(٤) ٥ : ١٥٦ . (٥) ابن سعد : نفس المرجع ١٨٥ .

(٦) الطبرى ٢ : ١٣٠٥ . (٧) نفس المرجع ١٣٠٦ .

عاش بعد ذلك بجيلين أو ثلاثة . وليست هذه المغازى ، التى رواها المغيرة عن أبان ، كتابا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ، وإنما هى مجموعة من الأخبار المتعلقة بسيرة النبى ؛ ويظهر أنه لم يبق لنا شىء من تلك المجموعة التى لعلها كانت تماثل الصحائف والكتب المذكورة آنفا .

وعلى كل حال يجب ذكر أبان على أنه أول من دوّن مجموعة خاصة تتناول المغازى . حقا أن المدينة لم تعد بعد مقتل عثمان عاصمة الأمبراطورية العربية ، ولكنها ظلت مدة طويلة مقر عالية القوم من العرب ، من أبناء المهاجرين المكيين ، والأنصار المدنيين ، وأنصار بنى أمية الذين قبضوا على أزمة الحكم فى دمشق منذ ذلك الوقت .

ولم تقصر عناية أهل المدينة على العلوم الدينية وحدها ، بل عنوا أعظم عناية بالموسيقى والشعر .

ومن الخطأ أن يظن أنه لاتوجد صلات بين العلماء والشعراء ، وأن علماء الدين كانوا جميعا معادين للشعر . بل وجد فى المدينة نفسها أعلام من العلماء الدينيين قد برّزوا فى قول الشعر ، وأشهر مثل لذلك تتحقق فيه هذه الصلة ، عُبَيْدُ الله بن عبد الله بن عُتبة ، حفيد عُتْبة بن مَسْعود ، وهو ممن حارب مع النبى فى أُحد .

وقد خصص أبوالفرج الأصفهانى فى «كتاب الأغانى» فصلا لعُبيدِ الله هذا ، وأورد طائفة من شعره[1] ، وفعل مثل ذلك ابن سعد أيضا فى «طبقاته»[2] ؛ وهو معدود من فقهاء المدينة السبعة ، وحينما تيمه حب هُذَلِية

---

(١) كتاب الأغانى ٨ : ٩٢ — ١٠١ . (٢) ٥ : ١٨٥ .

حسناء ، دعا الفقهاء الستة الآخرين فى أشعاره التى يخاطبها بها ، ليشهدوا على قوة حبه الذى بَرَّح به ، قال[١] :

أحبُّـــكِ حبا لو علمتِ ببعضه ... لَجَدْتِ ولم يَصعب عليك شديدُ

وحبُّك ـ يا أُمَّ الصَّبىّ ـ مُدَهَّى ... شهيدى أبو بكر ، وأىّ شهيدِ

وعِلـــمُ وَجْدى القاسمُ بن محمد ... وعُرْوَة ما ألقَى بكم ، وسَـــعيدُ

ويعـــلم ما أُخفى سليمانُ علمَه ... وخارجـــةٌ يُبْدِى لنا ويُعِيدُ

متى تســألى عما أقول فتُخْبَرِى ... فلَلْحُبُّ عنـدى طارفٌ وتليدُ

ومن هؤلاء الفقهاء المشهورين من لم يشتهر بقول الشعر ، ولـكن اشتهر بتذوق الفن الشعرى فى عصره ونقده : مثل أحد الفقهاء الستة الذين ذكرهم عُبيدالله شهودا على حبه ، أعنى سعيدَ بن المُسَيَّب ، وهو ابن امرأة أبى هريرة وأحد أركان علم الحديث ، فبينما حياه نوفل بن مُساحِق ، وهو فى مجلسه بمسجد المدينة وحوله تلاميذه ، سأله : أىُّ أشعر : أعبـــد الله بن قيس الرقيات ، أم عمر بن أبى ربيعة[٢] ، والتفت عبد الله بن قيس نفسه إلى سعيد ، واستفتاه فى شعره الأخير[٣] . وفى « كتاب الأغانى[٤] » خبر يبين قدر إعجاب هذه الجماعات بالكلام البليغ فى جميع الظروف . فيروى عبد الله ابن عمر : « خرجت حاجا ، فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام رَفَثَتْ فيه .

---

(١) الأغانى ٨ : ٩٦ . الشهداء السبعة هم : أبو بكر بن عبد الرحمن ، والقاسم ابن محمد ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله نفسه .

(٢) الأغانى ١ : ٥٠ . (٣) الأغانى ٤ : ١٦٣ .

(٤) نفس المرجع ١٧ : ١٢٠ .

فأدنيت ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أَمَةَ الله ، ألستِ حاجّة ؟ ! أما تخافين الله ؟ فسفرَتْ عن وجه يَبْهَر الشمس حسنا ، ثم قالت : تأمل ، يا عمى ، فإنى ممن عنى العَرْجىّ بقوله :

من اللاء لم يَحْجُجْنَ يَبْغين حِسْبَة ولكنّ يَقتُلْنَ البرىء المُغَفَّلا

قال : فقلت لها : مَهْلا ، فإنى أسأل الله ألّا يعذّبَ هذا الوجه بالنار .

قال : و بلغ ذلك سعيد بن المسيب ، فقال : أَمَا ، والله لو كان من بعض بُغَضَاء العراق لقال لها : اعْزُبى ، قبّحك الله ! ولكنه ظَرف عُبّاد الحجاز » .

لم نبعد كثيرا عن موضوعنا بإقحام هذا الخبر ، كما يبدو ، لأن سعيدا يستحق الوقوف عنده قليلا فى هذا المقام ، إذ ينبغى أن نشكره لقوله القيّم بأن المغازى كانت موضوعا محببا للحديث فى مجتمع أشراف المدينة . فهو يقول كما فى الطّبرىّ[1] : « بينا نحن عند مروان بن الحكم » ومن الواضح أن ذلك كان زمن ولاية مَرْوان على المدينة ، وربما كان عام ٥٦ هـ « إذ دخل حاجبه ، فقال : هذا أبو خالد حكيم بن حِزام . قالَ : ائذنْ له . فلما دخل حكيم بن حزام ، قال : مَرْحَبا بك ، ياأبا خالد ، ادْنُ ، فحال له مروانُ عن صدر المجلس ، حتى كان بينه و بين[2] الوسادة . ثم استقبله مروان ، فقال : حدثْنا حديث بَدْر . قال : خرجنا ... » وكذلك فعل عبد الملك بن مروان بعد أن صارت إليه الخلافة ، فكان يسأل كبار التابعين عن أخبار بدر .

(١) الطبرى ١ : ١٣١٣ . (٢) كذا فى الأصل . وفى رواية فى هامش الطبرى : « بينه وبينه الوسادة » ، وهى أقرب إلى الفهم — ح

ولنرجع مرة أخرى إلى أبان ، ولن ندهش بعد ما قيل عن ميول الفقهاء والمحدثين الأعلام إلى الفن الشعرى ، إذ نسمع أن أباه أيضا كان محبا للشعر . يقول أبو الزناد[1] إنه قلما كان فى صحبته دون أن يسمعه يتمثل بأشعار الربيع ابن أبى الحقيق ، شاعر المدينة اليهودى :

سئمتُ وأمسيتُ رهنَ الفرا شِ مِن جُرْمِ قومى ومن مَغْرَمِ
ومن سفهِ الرأيِ بعد النُّهَى وعيبِ الرشادِ ولم يُفْهَمِ
فلو أنّ قومى أطاعوا الحليـ ـمَ لم يَتَعَدَّوْا ولم يُظْلَمِ
ولكن قومى أطاعوا الغُوا ةَ حتى تعكّس أهلُ الدَّمِ
فأودى السفيهُ برأى الحليـ ـمِ وانتشر الأمرُ لم يُبْرَمِ

ويقول يزيد بن عياض[2] إن أبانا لم يخطىء ، وهو وال على المدينة ، إلا فى سماحه لعبد الله بن جعفر ابن أخى علىّ المذكور آنفا ، بالذهاب إلى بلاط دمشق حين رضى عبد الله أن يبعث إليه غلامه الزامر . ويوصف أبان أيضا بأنه رجل يميل للدُّعابة والفكاهة[3] ، ويورد «كتاب الأغانى»

(١) الأغانى ٢١ : ٩٢ . (٢) البلاذرى : الأنساب ، تحقيق آلورد Ahlwardt ٢٠٩ .
(٣) الأغانى ١٧ : ٢٠٢ عن ابن هرمة عن أبيه ، قال : كان أبان بن عثمان ممن أهزل الناس وأعبثهم ، وبلغ من عبثه أنه كان يجىء بالليل إلى منزل رجل فى أعلى المدينة فيدق بابه دقا يغضب منه ، فيقول له : أنا فلان بن فلان ، ثم يهتف بلقبه . فيشتمه أقبح شتم ، وأبان يضحك . فبينما نحن ذات يوم عنده ، وعنده أشعب ، إذ أقبل أعرابى ، ومعه جمل له ، والأعرابى أشقر أزرق أزعر عضوب ، يتلظى كأنه أفعى ، وتبين الشر فى وجهه ، مايدنو منه أحد إلا شتمه ونهره . فقال أشعب لأبان : هذا ، والله من البادية ، ادعوه . فدعى وقيل له : إن الأمير أبان بن عثمان يدعوك . فأتاه فسلم عليه . فسأله أبان عن نسبه ، فانتسب له فقال : حياك الله يا خالى ، حبب ازداد

مثالا لهذا لميل .

حيا . فجلس . فقال له : إنى فى طلب جمل مثل جملك هذا منذ زمان ، فلم أجده كما أشتهى بهذه الصفة ، وهـــذه القامة ، واللون ، والصدر ، والورك ، والأخفاف ، فالحمد لله الذى جعل ظفرى به من عند من أحبه ، أتبيعه ؟ فقال : نعم ، أيها الأمير . فقال : فإنى قد بذلت لك به مائة دينار . وكان الجمل يساوى عشرة دنانير ، فطمع الأعرابى ، وسرّ ، وانتفخ ، وبان السرور والطمع فى وجهه . فأقبل أبان على أشعب ، ثم قال له : ويلك ، يا أشعب ! إن خالى هذا من أهلك وأقاربك — يعنى الطمع — فأوسع له مما عندك . فقال له : نعم ، بأبى أنت ، وزيادة . فقال له أبان : ياخالى ، إنما زدتك فى الثمن على بصيرة ، وإنما الجمل يساوى ستين دينارا ، ولـكن بذلت لك مئة لقلة النقد عندنا ، وإنى أعطيك به عروضا تساوى مئة . فزاد طمع الأعرابى . وقال : قد قبلت ذلك ، أيها الأمير . فأشار إلى أشعب ، فأخرج شيئا مغطى ، فقال له : أخرج ماجئت به . فأخرج جرد عمامه خز خلق ، تساوى أربعة دراهم ، فقال له : قومها يا أشعب . فقال له : عمامة الأمير تعرف به ، ويشهد فيها الأعياد والجمع ، ويلقى فيها الخلفاء ، خمسون دينارا . فقال : ضعها بين يديه . وقال لابن زبنج : أثبت قيمتها . فـكتب ذلك ، ووضعت العمامة بين يدى الأعرابى ، فـكاد يدخل بعضه فى بعض غيظا ، ولم يقدر على الـكلام . ثم قال : هات قلنسوتى . فأخرج قلنسوة طويلة خلقة ، قد علاها الوسخ والدهن ، وتخرقت ، تساوى نصف درهم . فقال : قوم . فقال : قلنسوة الأمير تعلو هامته ، ويصلى فيها الصلوات الخمس ، ويجلس للحكم ، ثلاثون دينارا . قال : أثبت . فأثبت ذلك . ووضعت القلنسوة بين يدى الأعرابى ، فتربد وجهه ، وجحظت عيناه ، وهمّ بالوثوب ، ثم تماسك وهو متقلقل . ثم قال لأشعب : هات ماعندك . فأخرج خفين خلقين قد نقبا وتقشرا وتفتقا . فقال له : قوم . فقال : خفا الأمير يطأ بهما الروضة ، ويعلو بهما منبر النبى صلى الله عليه وسلم ، أربعون دينارا . فقال : ضعهما بين يديه . فوضعهما ، ثم قال للأعرابى : اضمم إليك متاعك . وقال لبعض الأعوان : اذهب فخذ الجمل . وقال لآخر : امض مع الأعرابى ، فاقبض منه ما بقى لنا عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون دينارا . فوثب الأعرابى ، فأخذ القماش ، فضرب به وجوه القوم ، لا يألو فى شدة الرمى به . ثم قال له : أتدرى — أصلحك الله — من أى شئ أموت ؟ قال : لا . قال : لم أدرك أباك عثمان ، فأشترك والله فى دمه ، إذ ولد مثلك . ثم نهض مثل المجنون ، حتى أخذ برأس بعيره . وضحك أبان حتى سقط ، وضحك كل من كان معه . وكان الأعرابى بعد ذلك ، إذا لقى أشعب يقول له : هلم إلى ، يا بن الخبيثة ، حتى أكافئك على تقويمك المتاع يوم قوم . فيهرب أشعب منه — ح .

عروة بن الزبير

لم يمض غير قليل على مولد أبان ، حتى وُلِدَ عُرْوَةُ بن الزُّبَير ، الذى كان مِثْلَه فى المعرفة بالمغازى . وقد وَصل إلينا من مجموعاته عدد كبير من الأحاديث بخلاف الحال عند أبان .

يَنتسب عُرْوَة أيضاً إلى طبقة الأشراف السابقين إلى الإسلام ، وافتخر عُرْوَة بانتسابه إلى أشرف نساء الصدْرِ الأول من الإسلام فى جوابه عن عبارة للحجّاج جارحة[1] ، وقد حدث بينهما نقاش حوالى عام ٧٥ هـ ، وهاك ماجرى :

« وفد عروة مع الحجاج ، فقال يوما : قال أبو بكر (يعنى أخاه عبد الله) ، فقال الحجاج : لا أم لك ، أتكنى منافقا عند أمير المؤمنين ! فقال له : ألِى تقول : لا أم لك ، وأنا ابن عجائز الجنة ؟ أمى أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وجدتى صفية بنت عبد المطلب ، وخالتى عائشة ، وعمتى خديجة بنت خويلد » . وكان العوّام جد عروة أخا لخديجة وكان أبوه الزُّبَير من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وأخوه عبد الله الذى ذكرناه آنفا ، قائد أبناء المهاجرين والأنصار الذين لم يرضَوا خلافة يزيد ، وحكم فى مكة من عام ٦٤ ـ ٧٣ هـ . وكان عُرْوَة يَصْغُرُ عبدالله بكثير من السنين ، وقد تلقى عبد الله أنباء مولد أخيه الأصغر عند مارجع عام ٢٦ هـ إلى المدينة من الحملة الإفريقية[2] . ولم يستطع عروة أن يشترك فى معركة الجمل (٣٦ هـ)

(١) البلاذرى : الأنساب ٦٣ .

(٢) الأغانى ٦ : ٥٩ . وقال ابن أبى خيثمة (فى ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٤) إن عروة « كان يوم الجمل ابن ثلاث عشرة » . وإذن مولده فى عام ٢٣ هـ .

التى لقى فيها أبوه حَتْفه ، إذ لم يسمح للصبى ، الذى كان فى العاشرة من عمره بالاشتراك فيها ، على حين اشترك فيها أبان الذى يكبره قليلا[١] . فبقى عروة عندئذ فى بلدته . ويذكر اسمه لأول مرة فى حادث سياسى ، هو انتقام خالد بن المهاجر ، ابن أخى عبد الرحمن بن خالد المقتول ، من قاتله[٢] .

وكان عُرْوَةُ يجتمع كل ليلة فى نظام ببعض أصدقائه فى مسجد المدينة ، فى الأعوام الأخيرة من عهد معاوية (٤١ — ٦٠ هـ) ، أى بعد عام ٥٥ هـ بقليل . ويقول قبيصة[٣] وكان عضوا فى هذه الجماعة ، وأصبح فيما بعد موضع ثقة الخليفة عبد الملك ، إن من أعضائها مصعبا أخا عروة ، وأبا بكر بن عبد الرحمن ، وعبد الملك بن مروان ، وعبد الرحمن بن مِسْوَر ، وإبراهيم بن عبد الرحمن ، وعبد الله بن عبد الله ، علاوة على قبيصة نفسه وعُرْوَة[٤] .

ووعت الرواية ، كما رواها لنا ابن خلكان[٥] ، تلك الاجتماعات الليلية ، ولكنه وَهِمَ فأضاف اسم عبد الله بن الزبير إلى أسماء المشتركين ، على حين ترك الأسماء غير المهمة ، يقول : « إن المسجد الحرام جمع بين عبد الملك بن مروان ، وعبد الله بن الزبير ، وأخويه مصعب وعروة المذكور ، أيام تألفهم بعهد معاوية بن أبى سفيان . فقال بعضهم : هلمّ فلنتمنّ . فقال عبد الله بن الزبير : أمنيتى أن أملك الحرمين وأنال الخلافة . وقال مصعب : أمنيتى أن أملك العراقين وأجمع بين عقيلتى قريش : سُكَيْنة بنت الحسين وعائشة

(١) ابن سعد ٥ : ١٣٣ . انظر الطبرى ١ : ٣١٠٣ إلى ٣١١٣ .

(٢) الطبرى ٢ : ٨٢ . انظر أيضا لمر Lammer : دراسات عن خلافة معاوية الأول ، ٣ : ٢١٨ وما بعدها .

(٣) هو قبيصة بن ذؤيب الخزاعى .

(٤) البلاذرى : الأنساب : ٢٥٧ .

(٥) الوفيات ، طبعة بولاق ١ : ٣٩٩ ، فى ترجمة .

بنت طلحة . وقال عبد الملك بن مروان : أُمْنيتى أن أملك الأرض كلها ، وأخلف معاوية . فقال عروة : ستُ فى شىء مما أنتم فيه ، أُمْنيتى الزّهد فى الدنيا ، والفوز بالجنة فى الآخرة ، وأن أكون ممن يُرْوَى عنه العلم . قال : فصرف الدهر من صرفه ، إلى أن بلغ كل واحد منهم إلى أمله ، وكان عبد الملك لذلك يقول : « مَنْ سَرَّهُ أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فلينظر إلى عُرْوَة بن الزُّبير » .

وقد قطع عروة إقامته فى المدينة بسبع سنين غابها فى مصر ، ويقول عنها عروة نفسه « أقمت » ـ كذا يقول عُرْوَةُ كما فى البَلَاذُرِى[1] ـ «بمصر سبع سنين ، وتزوجت بها ، فرأيت أهلها مجاهيد ، قد حُمل عليهم فوق طاقتهم : وإنما فتحها عمرو بصلح وعهد ، وشىء مفروض عليهم» .

وإذ كنا نعلم[2] أن عروة كان فى مصر حين خلع أخوه طاعة الخليفة يزيد وأن الوالى الذى عينه عبد الله عام ٦٤ على مصر اضطر إلى تركها فى العام التالى ، فإننا قد نستنتج أن الأعوام السبعة التى قضاها عروة فى مصر كانت من ٥٨ ـ ٦٥ هـ . وفى أثناء محاربة عبدالله للخليفة وقف عروة فى صف أخيه وحين قتل أخوه مصعب عام ٧٢ هـ فى الحرب من أجل عبدالله ، ولى عروة تركته[3] ، واستمر مع أخيه فى أثناء محاصرته فى مكة[4] . وبعد مَقْتل عبدالله وضياع قضيته (٧٣ هـ) ارتحل عُرْوَة مباشرة إلى عبد الملك الخليفة ، الذى لم يكن ينازعه حينئذ أحد ، والذى اعتاد عروة أن يلقاه لقاء مستمرا

(١) الفتوح ، تحقيق دى غويه (ليدن) ص ٢١٧ .
(٢) اليعقوبى : طبقات الشعراء ، تحقيق هل Hal : ٣٥ .
(٣) الأغانى ١٤ : ١٦٨ . (٤) البلاذرى : الأنساب : ٤٧ .

فى مسجد المدينة فى الأعوام الأخيرة من عهد معاوية ، كما رأينا . وهناك عدة روايات[١] فى المراجع الرئيسة عن رحلة عروة إلى عبد الملك ، ولكننا نَرْوِى هنا رواية عبد الله بن فائد :

« ركب عروة ناقة لم يُدْرَكْ مثلها ، فقدم الشام قبل قدوم رسل الحجاج بقتل عبد الله بن الزبير على عبد الملك ، فأتى باب عبد الملك ، فاستأذن له ، فلما دخل سلم بالخلافة ، فرد عليه عبد الملك ، ورحب به وعانقه ، وأجلسه على السرير . ثم قال عُرْوَة :

ثُمَّتَ بأرحامٍ إليكَ قريبةٍ ولاقُرْبَ للأرحامِ مالم تقرَّبِ

ثم تحدث حتى جرى ذكر عبد الله ، فقال عُرْوَة : إن أبا بكر[٢] بان. فقال عبد الملك : وما فعل ؟ قال : قُتل رحمه الله . فخر عبد الملك ساجدا ، فقال عُرْوَة : فإن الحجاج صَلَبه ، فهَبْ جُثَّتَه لأمه . قال : نعم . وكتب للحجاج يعظم ما بلغه من صَلْبه ، وكتب إليه : إياك وعُرْوَة، فقد آمنته . فكان مسيره من الشام راجعا إلى مكة ثلاثين يوما ، فأنزل الحجاج جثة عبد الله عن خشبته ، وبعث بها إلى أمه ، فغسلته ، فلما أصابه الماء تقطع ، فقالت : قيل لى فى المنام ، يا أم المقطَّع ، فكنت أظنه المنذر ، لأنه جُذِّع بالسيوف ، ولم أظنه ابنى . فغسلته عضوا عضوا ، فاستمسك ، ودفنته ، وصلى عليه عُرْوَة » .

---

(١) الواقدى فى البلاذرى : الأنساب ٦٥ . نفس المرجع ٦١ ؛ أمير بن حفص نفس المرجع ٦٣ ؛ المدنى عن عبد الله بن سعيد ، نفس المرجع ٦٢ .

(٢) كنية عبد الله . وقد ذكرنا قبل اعتراض الحجاج على استعمالها فى الحديث مع الخليفة . (وبان : فارق ، ويكنى بها عن قتله — ح) .

وعامل عبد الملك عُرْوَة بالاحترام الذى كان يتوقعه منه ، ولكن عُرْوَة تألم من بعض الدمشقيين ، كما يخبرنا ابنه هشام[١] . فبينما كان عروة جالسا مع عبد الملك ، إذ جاء قوم ، ووقعوا فى عبد الله بن الزُّبير ، فخرج عُرْوَة قائلا للحاجب : « إن عبد الله بن الزبير ابن أمّى وأبى ، فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لى عليكم » . فلما سمع ذلك عبد الملك قال : « إن أخاك لم يكن قتلنا إياه لعداوة ، ولكنه طلب أمرا وطلبناه ، فقتل دونه ، وإن أهل الشأم قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحدا إلا شتموه ، فإذا أذِنَّا لأحد قبلك ، فقد جاء من يشتمه ، فلا تدخل . وإذا أذنّا لأحد وأنت جالس ، فانصرف » .

ولا نعلم شيئا عن أية زيارة أخرى من عُرْوَة لعبد الملك ، غير أنهما كانا يتبادلان الرسائل الأدبية بعد عودة عروة إلى المدينة .

ثم ارتحل عروة إلى دمشق مرة ثانية بعد ارتقاء الوليد العرش فى عام ٨٦ هـ[٢] ، وكان معه ابنه وصديق أسرته الشاعر إسماعيل بن يسار[٣] ، وقد لاحق النحس عروة فى هذه الزيارة الثانية لدمشق . فقد سقط ابنه من سطح مشرف على إصطبلات الوليد ، وكان يطل منها ليرى مافيها من الدواب ، فوقع وسطها وكانت هائجة ، فما زالت تركله حتى مات ، واضطرّ عُرْوَة نفسه إلى قَطْع رجله ، بسبب فساد فى عظمها .

وقد حفظ كتاب الأغانى[٤] القصيدة التى نظمها إسماعيل بن يسار

---

(١) الأغانى ١٦ : ٤٥ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ١١٤ . توفى عروة فى عام ٩٤ هـ .

(٣) الأغانى ٤ : ١١٩ . (٤) الأغانى طبع بولاق ١٦ : ٤٥ .

فى رثاء محمد، وفيه كذلك رواية هشام بن عروة لهذه الحوادث المؤلمة[1] قال : « ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شكت رجله ، فقيل له : اقطعها . قال : إنى لأكره أن أقطع منى طابقا . فارتفعت إلى الركبة ، فقيل له : إنها إن وقعت فى الركبة قتلتك . فقطعت ولم يَقبِض وجهه . وقيل له قبل أن يقطعها : نسقيك دواء لا نجد معه ألما ، فقال : مايسعنى أن هذا الحائط وقانى أذاها ... ... [و] سقط محمد بن عروة بن الزبير ، وأمه بنت الحكم بن أبى العاص بن أمية ، من سطح فى إصطبل دواب الوليد ابن عبد الملك ، فضربته بقوائمها حتى قتلته ، فأتى عروة رجل يعزيه ، فقال عروة : إن كنت تعزينى برجلى فقد احتسبتها . فقال : بل أعزيك بمحمد . قال : وماله ؟ فخبره بشأنه ، فقال :

وكنتُ إذا الأيام أحدثن هالكا أقول شَوًى ، مالم يُصِبْنَ حَمِيمِى

اللهم ، أخذتَ عضوا وتركت أعضاء ، وأخذت ابنا وتركت أبناء ، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت ، وإن كنت ابتليت لقد عافيت . فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق » .

وتخبرنا عدة روايات أخرى[2] نفس خبر قطع رجل عروة ، ومنها الرواية التالية[3] : « إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك ، وقد قطعت رجله ، فقال عروة لبعض بنيه :

---

(١) الأغانى ١٦ : ٤٥ .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ١٤٠ ؛ ابن خلكان ١ : ٥٦٨ ؛ الذهبى : تهذيب ٥ ، عروة أيضا .

(٣) ابن الماجشون فى « كتاب الأغانى » ١٦ : ٤٦ .

أكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها . فنعس . فقال له عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا أبا عبد الله ، ما أعددناك للصراع ولا للسباق ، ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك : رأيك وعلمك . فقال عروة : ماعزاني أحد عن رجلي مثلك » .

وكان عروة يتردد على أمير من أمراء الأمويين ، وهو عمر بن عبد العزيز في أثناء ولايته على المدينة (٨٧ ـ ٩٣ هـ) . وكان عروة أحد الفقهاء العشرة الذين استدعاهم عمر[١] بعد أن وَلِي المدينة ، ويَنسب ابن سعد أحد الأحاديث النبوية التي ذكرها عمر في الأيام التي كان يبني فيها مسجد المدينة (٨٨ هـ) لعُرْوَة[٢] . ومع ذلك عارض عروةُ الوالِيَ معارضة عنيفة حين كَذَّبَ قوله : إن عائشة إنما تحبّ أحدا أكثر من حبها لعبد الله بن الزبير ، ماعدا النبيّ ووالديها[٣] . ولم يكن عروة نفسه يميل إلى إذكاء نار الخصومة بين الآراء الداخلية للجماعة الإسلامية ؛ ويُروى أنه كان يقول[٤] : « كان عليّ أتقى لله من أن يعين في قتل عثمان ، وكان عثمان أتقى لله من أن يقتله عليّ » . وكان عروة يجتمع كل مساء ببعض أحفاد عليّ . وهو علي بن الحسين (توفي عام ٩٢ أو ٩٤ هـ) في الجزء الخلفي من مسجد النبي ؛ ويروى عبد الله ابن حسن حديثا لعروة مع علي اشترك فيه عبد الله نفسه[٥] ، قال : « فتحدثنا ليلة » ـ في عهد عبد الملك أو الوليد ـ « فذكر جَوْرَ من جار من بني أمية

---

(١) الطبري ٢ : ١١٨٣ .
وإنما دعاهم ليكونوا مستشارين له في الأحكام — ح .
(٢) ٣ أول : ٨٢ . (٣) الأغاني ٨ : ٩٣ .
(٤) المبرد : الكامل ٤٤٤ . (٥) ابن سعد ٥ : ١٣٥ .

والمُقام معهم ، وهم لا يستطيعون تغيير ذلك ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم ، فقال عُرْوة لعليّ : ياعليّ ؟ إن من اعتزل أهل الجور ، والله يعلم منه سُخْطه لأعمالهم ، فإن كان منهم على مِيل ، ثم أصابتهم عقوبة الله ، رُجي له أن يسلم مما أصابهم . قال : فخرج عُرْوة فسكن العَقيق[1] ، قال عبد الله : وخرجت أنا فنزلت سُوَيقة » . وتشبه العبارات المنسوبة هنا لعروة عن حكم الأُمويين الجائر ، أن تكون دفاعا عن موقفه من حكام دمشق ، الذين لم يعطهم طاعته ، والذين ظل مرتبطا بهم حتى فى المدينة ، أمام كثير من المتدينين .

وليس لدينا خبر يقينى عن سنة وفاة عُروة ؛ ولكن معظم الثقات يذكرون أنه توفى عام ٩٤ هـ[2] . وقد مات فى ضيعته فى مُجاح بجوار الفُرع ، وقد ذكرنا آنفا من أبنائه محمدا وهشاما أكثر من مرة . ونعرف أسماء ستة أبناء آخرين غيرهما[3] .

ويشتهر عُرْوة شهرة كبيرة بمعرفته الحديث ، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة ، وقد مكنته إقامته بها من الإلمام بكثير من الأخبار عن الأيام الأولى من الإسلام خاصة ؛ عرفها من والده ومن أمه ومن عائشة أكثر من غيرها ، وكان لا يقطع زيارتها وسؤالها . ويخبرنا مجاهد[4] عن قصته حين سأل هو وعروة ابنَ عمر عن عدد عُمَر النبى ، ثم ذهب عروة لعائشة ، حين لم يشفهما جواب ابن عمر ، فأجابتهما بجواب آخر .

(١) كان فى العقيق بئر ، يعرف باسم بئر عروة . انظر : معجم البلدان ١ : ٤٣٣ ؛ ابن قتيبة : المعارف ١١٤ .

(٢) ابن سعد ٥ : ١٣٥ ؛ ابن قتيبة : المعارف ١١٤ ؛ البخارى : تاريخ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ١١٤ .

(٤) الطبرى ١ : ١٧٦٥ .

و يستحق ابنه هشام ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهرىّ عناية خاصة من بين هؤلاء الذين روَوا عن عروة الأحاديث التى جمعها .

وقد روى لنا ابنه هشام[١] أن أباه عروة أحْرَقَ كتبه فى الفقه فى يوم الحَرَّة (٦٣ هـ) ، التى هَزم فيها يزيد أهل المدينة ، وقد حَزِن على فقدها كثيرا فيما بعد . ولا نجد أية إشارة[٢] إلى كتب أخرى عَلَّق عليها أو وُجدت عنده .

ولم يقتصر عروة على تلقين تلاميذه الأخبار التى تلقاها عن الثقات الذين أخذ عنهم ؛ بل دوّن معلوماته عن حوادث الصدر الأول من الإسلام ووصل إلينا بعض رسائله المدونة فى كتب ابن إســـحاق والواقدىّ والطبرىّ . والمخاطب بتلك الرسائل فى القطع الواردة فى الطبرى هو الخليفة عبد الملك فى الغالب ، وأما فى القطع الأخرى فالمخاطب ابن أبى هُنيدة ، الذى عاش فى كنف الخليفة الوليد . وكان عبد الملك فى شبابه يجالس الفقهاء[٣] ، وكان مشغوفا[٤] بالتزوّد من علمهم . فكان يحفظ فتاوى الخليفة عثمان عن ظهر قلب ، وسمع الحديث من أبى هريرة ، وأبى سعيد الخُدْرى ، و بعض الصحابة الآخرين[٥] ، فلم يكن من الغريب إذن أن يتجه نظره إلى المدينة التى كان يعرف لها منزلتها[٦] فى رواية الأحاديث ، و يبحث عن التزود

(١) ابن سعد ٥ : ١٣٣ .
(٢) الذهبى: تهذيب (ت. فيشر Fischer: تراجم رجال روى عنهم ابن إسحاق).
(٣) ابن سعد ٥ : ١٦٧ . (٤) نفس المرجع ١٧٤ .
(٥) ابن سعد ٥ : ١٧٤ .
(٦) نفس المرجع ٥ : ١٧٣ .

بأخبار المغازى من عروة ، وقد يسَّرت له إقامته بالمدينة من قبل أن يعرف أنه أوثق الناس فيها ، وكان قد حاز رضاه منذ انتهت ثورة عبد الله .

والقطعة الأولى[١] من أجوبة عروة لعبد الملك كانت عن الهجرة إلى الحبشة ، ويتصدرها إسناد مفصل تجرى نهايته كما يلى : « أبانٌ العطار قال : ثنا هشام بن عُرْوة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبدالملك بن مروان ... » ونجد الإسناد نفسه فى قطعة ثانية[٢] ، غير أنه يقول فى آخره : « عن عروة أنه قال » ولم يقل : « كتب إلى عبدالملك » ، ومع ذلك لا يخامرنا أى شك فى أننا أمام قطعة من كتاباته إلى عبد الملك ، لأن هذه القطعة يتصل مافيها بما فى القطعة الأولى ؛ فتبدأ بالهجرة إلى الحبشة التى سببتها الفتنة الأولى ، ثم تضيف إلى ذلك قصة هجرة الصحابة والنبى إلى المدينة ، التى سببتها الفتنة الثانية ؛ ويستعمل عروة لفظ « فتنة » فى هذه القطع معتمدا على السورة ٨ : ٣٩ . ويشير إلى نفس الآية ثانية فى القطعة الثالثة[٣] ، التى تحكى هجرة النبى نفسه . وهناك نفس الإسناد أيضا ، بيد أنه يوجد لفظ « قال » بدلا من لفظ « كتب إلى عبد الملك » ، ومن الواضح أن الفقرات الثلاث مأخوذة من رسالة واحدة أرسل بها إلى عبد الملك . ثم نجد الأمر أكثر وضوحا ، إذ يصرح فى إسناد شبيه بالماضى[٤] : « ثنا هشام بن عروة

(١) الطبرى ١ : ١١٨٠ .
(٢) نفس المرجع ١ : ١٢٢٤ .
(٣) نفس المرجع ١ : ١٢٣٤ .
وتقول الآية : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير » — ح .
(٤) الطبرى ١ : ١٢٨٤ .

عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد : فإنك كتبت إلىّ فى أبى سفيان ومَخْرجه ؛ تسألنى كيف كان شأنه ... » . ثم يلى ذلك وصف مُفَصَّل لموقعة بدر يبدأ بما يلى : « كان من شأنه أن أباسفيان ... »، ويستمر فى حديثه . ويشير عروة هنا أيضا إلى الآيات كثيرا ، وتجرى المقدمة فى قطعة أخرى كما يلى[1] : « ثنا هشام بن عروة عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إلىّ تسألنى عن خالد بن الوليد : هل أغار يوم الفتح ، وبأمر من أغار ؟ » .

ويبدأ الجواب قائلا: « وإنه كان من شأن خالد » ، ويستمر فى حديثه، ولذلك لانشك هنا أيضا حينما لانجد فى القطعة التالية[2]، عن نفس الإسناد غير « ثنا هشام بن عروة ، عن عروة قال » فى أننا أمام قطعة أخرى من الجواب لعبد الملك ؛ لأن الكلمات الأخيرة من القطعة المتقدمة[3] تَرِدُ هى بنصها فى بداية هذه القطعة ؛ ومن الواضح أن فقرة أخرى من نفس الرسالة إلى عبد الملك توجد أمامنا فى قطعة أخيرة[4] . وقد حفظ الطبرى أيضا جوابا قصيرا لعروة عن سؤال من عبد الملك عن تاريخ وفاة خديجة[5] ، وآخر عن سؤال من الوليد : هل تزوج النبى أخت الأشعث بن قيس[6] . وعلى حين يروى ابنه هشام جميع هذه الرسائل التى تحوى أجوبة عروة عن أسئلة عبد الملك والوليد ، نجد الزهرى هو الذى يروى لنا نص الجواب الذى

---

(١) الطبرى ١ : ١٦٣٤ .
(٢) نفس المرجع ١ : ١٦٥٤ .
(٣) نفس المرجع ١ : ١٦٣٦ .
(٤) نفس المرجع ١ : ١٦٧٠ .
(٥) نفس المرجع ١ : ١٧٧٠ .
(٦) نفس المرجع ٣ : ٢٤٥٨ .

وجهه عروة لابن أبى هُنيدة[١] ، صديق الخليفة الوليد ، الذى سأله عن السورة ٦٠ : ١٠ ، فشرح له عروة المناسبة التاريخية التى تشير الآية إليها[٢] .

وتمثل كتابات عروة المذكورة هنا ، أقدم المدونات التى حُفظت لنا عن حوادث خاصة فى حياة النبى ، كما تمثل أقدم نصوص النثر التاريخى العربى. وعلى الرغم من أننا لانجد فى أى مرجع قديم[٣] أن عروة ألف كتابا حقيقيا عن المغازى ، فإننا واثقون أنه جمع وأخرج مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث فى حياة النبى . بل يتضح من الفقرات التى وصلت إلينا أن عروة بنى أجوبته المدونة على الأحاديث التى جمعها بنفسه ؛ لأنه وإن كان لايصرح باسم رُوَاته فى تلك الأجوبة عامة ، فإنه يخرج على تلك القاعدة فى خبره عن هجرة النبى حين يذكر أنها مبنية على ماأخذه عن عائشة[٤]. أضف إلى ذلك أنه يجعلنا نفهم فى المواضع التى يذكر فيها أقوال النبى ، أنه عرفها بتلك الطريقة[٥] ، ولذلك يعدّ من الخطأ القول بأن عروة كان خصما للأسانيد ؛ إذ تبين الرسائل نفسها أنه اتبعها ، حتى حين لم يكن فى هذه

---

(١) ابن هشام ٣ : ٣٤٠ ؛ الطبرى : تفسير ٨ : ٤٢ .

(٢) تقول الآية : « يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ، الله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار ، لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وآتوهم ما أنفقوا ؛ ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ، ولا تمسكوا بعصم الكوافر ، واسئلوا ما أنفقتم وليسئلوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم » — ح .

(٣) انظر حاجى خليفة .

(٤) الطبرى ١ : ١٢٣٥ ؛ نفس المرجع ١٢٣٧ .

(٥) الطبرى ١ : ١٢٣٧ ، ١٢٨٨ ، ١٦٣٥ .

الكتابات إلا قليل العناية بذكرها . وإذن كان الإسناد فى ذلك العهد — حوالى عام ٧٥ هـ — قد ظهر بصورته البسيطة ، وليس للمرء الحق أن ينكر على عروة بدون تأمل وتحقيق لأحاديث التى رواها عن الثقات لمجرد ظهور الإسناد عرضا فى رسائله .

ويتكلم عروة أكثر من مرة عن أهمية الحديث[1] ، ولا ينسى أن يذكر أبناءه أنهم يستطيعون أن يجعلوا الناس فى حاجة دائمة إليهم بمعرفتهم الحديث[2] ؛ ويخبرنا ابنه هشام أن عروة لم يقل فى شىء قط برأيه[3] ، وإنما كان يُعَوِّل على الحديث . وقد وصل إلينا عدد كبير من أحاديث عروة ؛ وأكثر من روى عنه ابنه هشام والزهرى . ونجد رواياته فى مجموعات الأحاديث كما نجدها فى كتب السيرة ، وقد حفظ لنا ابن إسحاق والواقدى وابن سعد والطبرى عدة أحاديث عن عروة . وتأخذ أقدم سير النبى التى بأيدينا جزءا كبيرا جدا من مادتها من مجموعاته . وإذا كان بعض هذه الأخبار قد نسب إليه خطأ ، فليس لدينا ما يجعلنا نشك فى انتماء معظمها له . وغالبا ما تكون روايته فى تلك الأخبار عن عائشة إلى جانب روايته عن غيرها من صحابة النبى . ومع ذلك توجد طائفة كبيرة من الأحاديث لا يذكر عروة رواتها ؛ ومن الحق أن الإسناد كان قد أصبح عادة فى عصره ، ولكنه لم يكن ضربة لازب . أضف إلى ذلك أن عروة رجع أيضا إلى وثائق مكتوبة ؛ فيذكر مثلا نص الرسالة التى وجهها النبى لأهل هَجَر[4] . وتُعنَى

(١) ابن سعد ٥ : ١٣٣ . (٢) ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٢ .
(٣) ابن حجر : تهذيب ٧ : ١٨٣ . (٤) البلاذرى : فتوح ٧٩ .

الأخبار المروية عن عروة بجميع أجزاء حياة النبي ، كما تُعنى أيضا بحوادث عهد الخلفاء الأولين .

ومن الخطأ أن نظن أن عروة قصر اهتمامه على معرفة أقوال النبي والأخبار الخاصة بحياته . فعلى الرغم من كونه فقيها ومحدّثا ـ ككثير من أمثاله ـ كان معنيا برواية الشعر وحفظه . يقول أبو الزناد عنه[١] : «ما رأيت أروى للشعر من عروة ، فقيل له : ما أرواك ، يا أبا عبد الله ! فقال : ما روايتي في رواية عائشة ؟ ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعرا » . وحتى إذا لم نصدق اقتداءه بعائشة ، واعتبرناه إنما ذكرها ليدلل على إباحة الاقتباس من الشعر في المغازي ، فإننا لا نشك في أن عروة كان محبا للشعر . وقد كان على صلات حسنة بإسماعيل بن يسار الشاعر[٢] ، الذي صحبه في وفادته على عبد الملك والوليد ، والذي رثى محمد بن عروة . كما كان أيضا ذا صلات طيبة بشاعر قريش الغزِل ، عمر بن أبي ربيعة[٣] ، ولكنه كان يسيء الظن بشاعر النبي الخاص حسان بن ثابت[٤] .

أضف إلى ذلك أن الميل للشعر امتد إلى أشخاص آخرين من آل بيته . فأظهر أخوه عبد الله ، الذي اتهم[٥] بانتحال بعض أبيات معن بن أوس ، أنه كان عالما بالشعر[٦] ؛ واشتهر أخوه جعفر بأنه شاعر ؛ وله فصل خاص في « كتاب الأغاني » فيه بعض أبيات يخاطب بها عروة[٧] . وحفظ

---

(١) الذهبي ، انظر فيشر : تراجم . (٢) الأغاني ٤ : ١١٩ .
(٣) نفس المرجع ١ : ٦٤ . (٤) نفس المرجع ٤ : ١٥ .
(٥) المبرد : الكامل ٣٥٧ . (٦) الطبري ٢ : ٣٩٧ .
(٧) الأغاني ١٣ : ١٠٥ وما بعدها .

« كتاب الأغانى[١] » مقطوعة تهكمية نظمها عروة نفسه فى عائشة بنت طلحة بمناسبة حجها . ولا يخجل عروة فى نفس الأخبار التاريخية المروية عنه من رواية الأشعار[٢] المنسوبة إلى هؤلاء المشتركين فى الحوادث ؛ ولذلك يوجد بعض الصدق فى قول أبى الزناد . وقد نستنتج أن عروة أدخل أشعار المشتركين فى الحوادث ، حتى فى الأحاديث الخاصة بسيرة النبى التى رواها لتلاميذه ، كما فعل ابن إسحاق فيما بعد .

شُرَحْبيل بن سعد

الاسم الثالث الذى يذكر فى تاريخ المغازى ، مع أبان وعُروة اللذين ينتميان لأشراف المسلمين ، اسم مولى ، هو شُرَحْبِيل بن سعد ، مولى بنى خَطمة المدنيين ، ويقال إنه عرف عليا[٣] (المتوفى عام ٤٠ هـ) ، ومات هو عام ١٢٣ هـ[٤] ، وقد نتيف على المئة ، كذا يقال . ومن الصحابة الذين أخذ عنهم الأحاديث زيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدرى[٥] . وقد تحدث شرحبيل نفسه عن إقامته فى أرض زيد بن ثابت فى الأسواف[٦]

---

(١) نفس المرجع ١٠ : ٦٠ .

(٢) الطبرى ١ : ٢٣٤٨ ، الأغانى ٣ : ١٥ .

(٣) ابن حجر : تهذيب ٤ : ٣٢١ وما بعدها . (٤) نفس المرجع .

(٥) ابن سعد ٥ : ٢٢٨ ؛ ابن حجر ٤ : ٣٢١ الذهبى ، ت نيشر (مجلة جماعة المستشرقين الألمان ٤٤ : ١٢ وما بعدها) .

(٦) ياقوت : معجم البلدان ١ : ٢٦٩ .

ويرهن[١] موسى بن عقبة أن شرحبيل دوّن قوائم بأسماء المهاجرين إلى المدينة ، وأسماء الرجال الذين اشتركوا فى وقعتى بدر وأحـد . وصرح سفيان بن عيينة[٢] بأنه لم يكن أحد أعلم بالمغازى والبدريين منه ، ولـكنه اختل عقله[٣] بعد كبره ، ولم يكن يصدقه أحد بسبب فقره ، أعنى أنهم كانوا يخافون[٤] إذا جاء إلى الرجـل فلم يعطه ، أن ، يقول : « لم يشهد أبوك بدرا » ، أو كما يقال فى موضع آخر[٥] : « وكان من أعلم الناس بالمغازى ، فاتهموه أن يكون يجعل لمن لا سابقة له سابقة ، وكان قد احتاج فأسقطوا مغازيه وعلمه » . ولما سمع بهذا موسى بن عقبة قال : « وإن الناس قد اجترءوا على هذا » . وعلى حين يقف موسى بن عقبة هكذا إلى جانبه ، كان ابن إسحاق من خصومه ، وقد أجاب[٦] حين سئل عنـه : « وأحد يحدث عن شرحبيل ؟ ! » .

(١) ابن حجر ١٠ : ٣٦١ .

يروى ابن حجر الخبر كالآتى : « كان شرحبيل أبو سعد عالما بالمغازى ، فاتهموه أنه يدخل فيهم من لم يشهد بدرا ، وفيمن قتل يوم أحـد من لم يكن منهم ، وكان قد احتاج فسقط عند الناس ؛ فسمع بذلك موسى بن عقبة ، فقال : « وإن النـاس قد اجترءوا على هذا ! فدب على كبر السن ، وقيد من شهد بدرا وأحدا ومن هاجر إلى الحبشة والمدينة ، وكتب ذلك » . ويدل هذا الخبر بوضوح على أن كاتب القوائم هو موسى بن عقبة ، وليس شرحبيل بن سعد كما فهم المؤلف — ح .

(٢) ابن حجر ٤ : ٣٢١ .
(٣) ابن سعد ٥ : ٢٢٨ .
(٤) ابن حجر ٤ : ٣٢١ .
(٥) الذهبى : نفس المرجع ٤٣٧ .
(٦) ابن حجر ٤ : ٣٢١ .

وليست الأخبار فى المواضع الأخرى فى جانب شرحبيل ، ولكنها ليست كلها كذلك ، فإن ابن حِبَّان يذكره بين الثقات . ولا يروى عنه ابن إسحاق أو الواقدى شيئا . أما ابن سعد[١] فيأخذ عنه خبرا عن هجرة النبى من قُباء إلى المدينة ، ولا يذكر شرحبيل فى هذه الفقرة أى إسناد ، ولكننا لا نستطيع أن نستنتج منها أن تلك طريقته فى كل ماروى ، ويتضح من هذ النص أنه لم يقصر نفسه على المغازى بالمعنى الخاص .

وَهبُ بنُ مُنبه

كان علماء المغازى الثلاثة الذين ذكرناهم حتى الآن ـ أبانُ ، وعُرْوَةُ وشرحبيل ـ من المدينة ، وقد قضوا حياتهم فيها ؛ أما الرابع : وهو وهب ابن منبه[٢] ، الذى يُعد فى التابعين ، ومن نفس الجيل ، فكان من جنوب بلاد العرب ، وهو من أصل فارسىّ ، من إحدى الأسرات الفارسية التى استقرت فى جنوب بلاد العرب ، فى العصور الجاهلية ، تحت حكم كسرى أنوشِروان ، وعرفوا بالأبناء ؛ وكان جد وهب الأكبر يلقب بالا سوار ، وقد اعتنق وهب الإسلام عام ١٠ هـ بناء على قول واضح الخطأ للواقدىّ[٣] ، ومعناه أنه ولد قبل الهجرة . ولا يمكن كذلك أن نثق بقول عبد الله بن سَلاَم[٤] الذى نقله ابن النديم فى الفهرست : إن وهبا من أهل الكتاب

(١) ابن سعد ١ : ١٦٠ .
(٢) للبحث عن وهب ، انظر لدزبرسكى Lidzbarski .
(٣) الطبرى ١ : ١٧٦٣ . (٤) نفس المرجع

الذين أسلموا . والأكثر احتمالا أنه ولد مسلما ، ولعل قول الواقدى لا يعنى إسلام وهب نفسه ، وإنما يعنى إسلام والده منبه ، الذى يحتمل أنه دخل فى الإسلام عام ١٠ هـ . وليس لدينا مايدعو إلى الشك فى القول بأن وهبا ولد عام ٣٤ هـ[١] ، ذلك القول الذى يلائم مانعرفه من الأخبار الأخرى عن حياته .

وتذكر ذمار بجوار صنعاء ، على أنها مسقط رأسه ، ويذكر من إخوته همام ومعقل وغيلان . وتوجد إشارة فى الثعلبى[٢] إلى حديث بين معاوية ووهب ، كما يقال إن الخليفة الوليد عثر على حجر عليه نقوش غير عربية[٣] فى أثناء بناء مسجد دمشق (عام ٨٧ هـ) فأرسله إلى وهب لقراءته . وتولى وهب القضاء فى بلدته مدة من الزمن ؛ ويروى سماك بن الفضل[٤] حادثة وقعت فى ذلك العهد ، يقول : « كنا عند عروة بن محمد — يعنى أمير اليمن[٥] — وإلى جنبه وهب بن منبه ، فجاء قوم فشكوا عاملهم ، وذكروا عنه شيئا قبيحا ، فتناول وهب عصا كانت فى يد عروة ، فضرب بها رأس العامل حتى سال دمه . فضحك عروة ، وقال : تعتّب علينا أبو عبد الله الغضبَ . وهو يغضب ! فقال : مالى لا أغضب ، وقد غضب الذى خلق الأحلام ، وقال (السورة ٤٣ ، الآية ٥٥) : فلما آسَفُونا (أغضبونا) انْتَقَمْنا مِنْهُم» .

---

(١) ابن حجر ١١ : ١٦٨ . (٢) صاحب كتاب عرائس المجالس فى قصص الأنبياء ح .
(٣) المسعودى : مروج ، ط . بولاق ٢ : ١١٩ .
(٤) الذهبى ، ت فيشر ٤٤٠ .
(٥) يظهر أن اسم هذا الأمير اليمنى غير معروف فى الكتب الأخرى . وربما كانت ولايته فى الفترة بين عامى ٥٧ — ٧٣ هـ ، التى لانعرف فيها أسماء ولاة اليمن .

ونعرف من الأهمية الخاصة التى يجلعها وهب للأحلام ، أنه هنا يصف الله خاصة بأنه خالق الأحلام ، وقد اشتهر وهب بأنه «صادق الأحلام» ، وقد ظن وهب أنه فقد هذه الموهبة فيما بعد حين[١] قَبِل أن يلى القضاء . ولم ينفرد وهب بهذا الظن ؛ فكثيرا ما نقرأ عن رجال من ذوى الدين كرهوا قبول أعمال خافوا من ممارستها على ورعهم وصفاء نفوسهم . ويوصف وهب فى موضع آخر بأنه رجل يعيش عيشة زاهدة[٢] ؛ فيقال «لبث وهب ابن منبه أربعين سنة لم يسب شيئا فيه الروح ، ولبث عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءا ... ولبث أربعين سنة لم يرقد على فراش » .

ويقال إن وهبا كان من المتمسكين بعقيدة القَدَر[٣] فترة من الوقت ، ولكنه رفضه فيما بعد، لأنه يناقض الوحى . وكان فى عام ١٠٠ هـ فى مكة[٤] ولقى فيها طائفة من الفقهاء المشهورين . وحُبس فى الأعوام الأخيرة من عمره ، لأسباب لا نعرف عنها شيئا ، غير أن وهبا تقبل الحبس راضياً لدينه[٥] وقال : « أحدث [الله] لنا الحبس ، فأحدثنا له زيادة عبادة » . ومن المعروف أن الحبس كان نتيجة لأمر من الوالى يُوسفَ بن عمر الثقفى

---

(١) الذهبى : نفس المرجع ٤٤٠ .

ولكن المؤلف هنا أساء فهم عبارة وهب، إذ أنه يعنى بالأحلام العقول لا الرؤى ، وإن كان هذا لا يعنى عدم اهتمام وهب بالأحلام والرؤى — ح .

(٢) الذهبى : نفس المرجع ٤٣٩ ، ابن سعد ٥ : ٣٩٦ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ الذهبى ٤٤٠ .

(٤) الذهبى ٤٤٠ . (٥) الذهبى ٤٤٢ .

الذى حكم اليمن من عام ١٠٦ إلى ١٢٠ هـ ، وضرب وهبا فى عام ١١٠ هـ حتى أشفى على الموت ، لأسباب غير معروفة أيضا[١] .

ويعرف وهب فى المصادر بأنه ثقة ، ويقال إنه روى عن ابن عباس وجابر وأبى هريرة وغيرهم : ولكن لم يُقبل الرواة على الأخذ عنه إلا فى النادر ، بخلاف غيره من تابعى المدينة ؛ وقد نقل البخارى حديثا يرويه وهب عن أخيه همام عن أبى هريرة . ولكن قلما يوجد هذا الإسناد فى الروايات الكثيرة المنسوبة لوهب فى المواضع الأخرى من الأدب العربى[٢] .

ويختلف وهب عن المدنيين فيما يلى : أنه يُعْنَى عناية خاصة بأحاديث أهل الكتاب ؛ وقبل أن ندخل فى موضوع مغازى وهب ، يجب أن نلقى نظرة على الكتابات الأخرى المنسوبة له ، والتى تُعنى خاصة بتاريخ أهل الكتاب ، أو تاريخ وطنه (اليمن) . وتُؤيَّد[٣] معرفة وهب الدقيقة بأحاديث أهل الكتاب بالروايات القائلة ، إنه قرأ ٧٠ ، أو ٧٢ ، أو٧٣ ، أو ٩٢ من كتبهم المقدسة . وإذا كانت مثل هذه الدعاوى لاتستحق التصديق ، كما تبين قوائم الكتب المقدسة المشار إليها ، فإننا جدُّ موقنين أن وهبا عرف ماتحويه كتب اليهود والمسيحيين المقدسة ، عن طريق صلاته

---

(١) الذهبى ٤٤٢ ؛ ابن حجر ١١ : ١٦٨ . لمعرفة عام وفاة وهب انظر معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ ، وابن سعد ٥ : ٣٩٦ .

(٢) باستثناء الطبرى ١ : ٤١٦ .

(٣) ابن سعد ٥ : ٣٩٦ ؛ لدزبرسكى ٤٤ وما بعدها .

باليمنيين من أهل الكتاب ؛ الذين كثر عديدهم فى جنوب بلاد العرب ، ويوافق كثير من أقوال وهب ما فى المصادر اليهودية والمسيحية تمام الموافقة وتخالفها فى بعض الأحيان . وتشمل أخباره جميع ميدان «أحاديث الأنبياء والعباد وأحاديث بنى إسرائيل» كما يقول ابن سعد[١]، وقد نمت وكثرت بما زاد فيها تلاميذه ، الذين كان من بينهم بعض أعضاء أسرته ، وجدير منهم بالذكر حفيده عبد المنعم ، لحفظه المادة التى جمعها وهب ، و « كتاب المبتدأ » لوهب ، الذى استغله الثعلبى فى كتابه « عرائس المجالس » من رواية عبد المنعم عن وهب ، وهو ينسب إليه على أنه مؤلفه[٢]. وأما العنوان « المبتدأ » فيشير إلى مبتدإ الخلق[٣] ؛ ولكن الرسالة لا تصور تاريخ أصل الجنس البشرى طبقا لأخبار أهل الكتاب فحسب ، بل قصص الأنبياء أيضا ، أى تاريخ الرسالات القديمة .

ويُعتبر وهب من الثقات المعتمدين فى قصص الأنبياء خاصة ، ولكنه تناول كذلك تاريخ العُباد ، أى الأولياء الذين لم يصلوا إلى مرتبة النبوة ، كما يقول ابن سعد ، وحين ينسُب حاجى خليفة[٤] إلى وهب أيضا رسالة فى قصص الأخيار ، فإننا قد نظن أن هؤلاء الأخيار هم عُباد ابن سعد .

وينسب حاجى خليفة لوهب أيضا « كتاب الإسرائيليات » ويظهر

---

(١) ابن سعد ٧ : ٩٧ . (٢) الفهرست ٩٤ .

(٣) انظر ابن قتيبة : المعارف ٤ حيث يذكر « مبتدأ الخلق وقصص الأنبياء » على أنه « الفن » الأول من « فنون المعارف » .

(٤) رقم ٩٤٣٦ .

أنه لم يكن يُعرف بذلك الاسم فى العهود القديمة . فلا يقول ياقوت[١] مثلا عنه إلا أن وهبا « كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالإسرائيليات » فهو يستعمل الكلمة ليصف مصادر وهب الإسرائيلية . ومن المحتمل أن الرسالة التى أعطاها حاجى خليفة هذا الاسم هى « كتاب المبتدأ » ، وأنها لم تشتهر بالإسرائيليات إلا فى زمن متأخر . وعلى كل حال ، نجد عند المؤلفين المتأخرين مجموعة من الأخبار من رسالة لوهب تسمى « الإسرائيليات » . لكن ما كان يعزى إليه كثير من الروايات غير الصحيحة ، فإننا لسنا كبيرى الثقة بهذه الأقوال ، على أنها غير كافية لإعادة تكوين « إسرائيليات » وهب المشار إليها — إن كان قد كتب حقيقة كتابا بذلك الاسم — كما حاول شوفان V. Chauvin[٢] أن يفعل . ومن المؤكد أن وهبا لم يقتبس فى « مبتدئه » من الأخبار اليهودية وحدها ، بل اقتبس من المسيحية كذلك ، كما تدل الروايات الكثيرة عند ابن قتيبة ، والطبرى ، والمسعودى ، والثعلبى وغيرهم . بل الحق أن الأخبار المنسوبة له فى مثل هذه الكتب القديمة ، كثيرا ما يعارض بعضها بعضا . ومن الواضح أن أخباره لابد أن يكون عرض لها منذ عهد مبكر كثير من أنواع التحريف والتغيير فى النسخ المختلفة ، ومن المحقق أن العلماء لم يبحثوا بعدُ جميع أنواع القصص المشكوك فى أصلها مما ينسب إليه . وقد استخرج ابن قتيبة بعض

---

(١) معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ .

(٢) فى « النسخة المصرية من ألف ليلة وليلة » ٥٧ .

الخلاف بين بعض أخبار وهب وسِفْر التكوين الأصلىّ ، ولكنا نرى فيما رواه ابن هشام بأية دقة يأخذ وهب النص من الكتاب المقدس . وتفسير مثل ذلك الاختلاف أنه إما أن تكون الأخبار التى جمعها وهب قد غيرها أولئك الذين نشروها فيما بعد، وجعلوها على نمط أخبار القُصّاص الشَّعبيين، وإما أن وهبا نفسه أجرى مثل هذا التغيير .

وتناول وهب فى رسالة خاصة[1] « كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك» ، وهو التاريخ القديم الخرافى لوطنه اليمن ، ولم تصل إلينا هذه الرسالة ، ولكن من الواضح أن ابن هشام استعار منها مقدمة كتابه « كتاب التيجان » الذى لم يطبع حتى اليوم[2] . ويتبع وهب ، فى كتابته التى استغلها ابن هشام ، مصادر أهل الكتاب تماما فى عرض تاريخ أصل الرجل ، ولا يذكر أسماء سفر التكوين وأشخاصه طبقا للنص العبرى الأصلى فحسب ، بل يلاحظ أيضا تحريفات الترجمة السريانية .

ويبدو أن « فتوح » وهب ، التى يذكرها حاجّى خليفة[3] ، غير معروفة عند غيره من المؤرخين .

ومن وجهة أخرى يذكر ابن سعد[4] « حكمة » وهب ، وعَرَف الوراق

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ .

(٢) لندبرسكى ٨ وما بعدها .

طبع هذا الكتاب فى حيدر أباد ، وأشرف عليه جماعة من العلماء ، وكانوا يستشيرون المستشرق كرنكو ، الذى كتب عنه مقالا كبيرا فى مجلة « الثقافة الإسلامية » التى تصدر فى حيدر أباد باللغة الإنجليزية ، فى عام ١٩٢٨ — ج .

(٣) رقم ٨٩٣٢ .

(٤) ابن سعد ٧ : ٩٧ ، حيث ينقل عن حميد وهب إنه كان قارئا الكتب وهب وحكمته .

الأسبانى أبو بكر بن خير[1] (توفى سنة ٥٧٥ هـ) نسخة من ذلك الكتاب الذى يرتفع إسناده إلى عقيل ابن أخى وهب، وقد أخذه عن عمه. ويحتوى هذا الكتاب على أقوال حكمية، ويماثله فى معناه رسالة «الموعظة»[2] أيضا التى يذكرها نفس الوراق الأسبانى: وينسب أبو بكر محمد بن خير لوهب أيضا ترجمة للزبور «زبور داود - ص - ترجمة وهب بن منبه». ولإكمال الموضوع نذكر «كتاب القدر» أيضا، الذى يقال إن وهبا ألفه كما ذكر ياقوت[3].

ونبعد جميع كتابات وهب التى ذكرناها حتى الآن عن المغازى، التى نناقشها فى هذا المقال، ولكننا إذا فهمنا لفظة المغازى بمعناها العام، كما ينبغى، طبقا لاستعمال اللغة فى الأيام الأولى من الإسلام، وتوسعنا فيه لتشمل حياة النبى جميعها، فإن كتابات وهب هذه تدخل فى نطاق بحثنا، لأنها مدخل إلى سيرة النبى، كما ترتبط بالرسالات قبل محمد. ويقول حاجى خليفة[4] عن وهب إنه جمع المغازى؛ ولكن وهبا لا يذكر فى كتب السيرة القديمة مع رواة سيرة النبى، ومع ذلك فقول حاجى خليفة صحيح، فقد وجد بيكر C. h. Becker بين مجموعة أوراق بردى شُت رَيْنهارْدت Shott-Reinhardt المحفوظة الآن فى هيدلبرج، مجلدا يرجح أنه يحوى قطعة من «كتاب المغازى» هذا. وتاريخ نسخ هذه القطعة عام ٣٢٨ هـ؛ فهى

---

(١) المكتبة الأندلسية ٦ : ١٢٩. (٢) نفس المرجع ٣٩٤.
(٣) معجم الأدباء ٧ : ٢٣٢، ابن حجر ١١ : ٦٨.
(٤) رقم ١٢٤٦٤

ليست بعد وفاة وهب بأكثر من مئة عام ؛ وتبدأ بالعبارة : «أخبرنا محمد ابن أبي بكر أبو طلحة ، ثنا عبد المنعم ، عن أبيه ، عن أبي إلياس ، عن وهب» . ويتكرر هذا الإسناد ، الذي ينسب ما في المجلد إلى وهب ، في أثناء النص في غالب الأحيان . ولكن وهبا لا يصرح أبدا بأسماء من روى عنهم أخباره . وبذلك تؤيد قطعة هيدلبرج هذه ما عرفناه آنفا من الطبري وغيره .

وقد عرفنا من قبل أن حفيد وهب عبد المنعم[1] روى كتابات جده ، عن أبيه إدريس ، ولكن إدريس لم يرو الأخبار عن وهب مباشرة ، وإنما عن طريق أبي إلياس[2] ، الذي روى « موعظة » وهب أيضا[3] ، كما يقول أبو بكر محمد بن خير . وتبين لنا قطعة هيدلبرج أن وهبا لم يتناول المغازي بالمعنى الخاص ، فهي تحتوي على تاريخ العقبة الكبرى ، وحديث قريش في دار النَّدوة ، والاستعداد للهجرة ، والهجرة نفسها ، ووصول النبي إلى المدينة ، وغزوة بني خيثمة . وإذا كنا قلما نجد في قطعة هيدلبرج شيئا جديدا لم نجده في كتب السيرة والمغازي التي وصلت إلينا كاملة ، فإنها

(١) ورق بردي شت ريينهاردت ٨ .

(٢) لم أستطع أن أجد شيئا في « كتب الرجال » عن أبي إلياس هذا . ولكن أبا إلياس كنية زيب وهب ، إدريس بن سنان ، وهي تذكر في برديه هيدلبرج عامة كما يلي : عبد المنعم ، عن أبيه ، عن أبي إلياس . ح : ترجمة أبي إلياس والد عبد المنعم في تهذيب التهذيب لابن حجر ١ : ١٩٤ . وظاهر أن عبارة بردية هيدلبرج محرفة . بزيادة « عن » الثانية .

(٣) المكتبة الأندلسية ٦ : ٢٩٤ .

تهمنا لأسباب ، منها أنها تؤيد مايقال من أن سيرة النبي كانت تُروى في عام ١٠٠ هـ ، أو قبل ذلك بقليل ، كما في الكتب المتأخرة بالضبط ، وأن وهبا لايذكر رواته ، وإن كان يلتزمهم : وأنه يقطع القصة النثرية بإدخال قصائد ينسبها المشتركين في الحوادث أو معاصريهم ، كما كانت عادة قُصّاص العرب منذ قديم الزمن .